

ط. د/ زهية مختاري

أ.د / فاطمة مختاري

طالبة دكتوراه

أستاذة التعليم العالي.

تخصص علم اجتماع، جامعة الأغواط

تخصص أدب حديث ومعاصر. جامعة الأغواط.

Zahrazaho54@gmail.com /fatemamok@gmail.com

واقع الأداء اللغوي عند الطلاب الجامعيين في الجزائر.

The reality of linguistic performance among university students in Algeria.

تاريخ النشر: 2023/06/29	تاريخ القبول: 2023/06/16	تاريخ الإرسال: 2022/11/15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

مَلْحَصُ البَحْثِ

جاءت هذه الدراسة لتقر بوجود مشكلة تتعلق باللغة العربية من حيث تدريسها مستواها بين أبنائها معلمين متعلمين، ومن حيث مستقبلها وجودا وعدما. وهدفت الدراسة إلى رصد مظاهر تدني الأداء اللغوي عند طلاب الجامعة، و التعرف على أسباب هذا التدني، وطرح بعض الأفكار التي قد تسهم في الارتفاع بمستوى هذا الأداء. وفي الأخير تم اقتراح بعض الحلول الناجعة لاجتياز أهم العقبات التي تواجهها لغة الضاد.

الكلمات المفتاحية : اللغة - الطالب - الجامعة - الواقع - المستقبل .

Summary: Tis study acknowledged that there is a problem related to the Arabic language in terms of teaching its level among its children teachers, and in terms of its children teachers, and in terms of its future, existence and non-existence. The study aimed at monitoring the manifestations of low linguistic performance among university students, identifying the causes of this decline, and putting forward some ideas that may contribute to the rise in the level of this performance.

Keywords: language _ student _ university _ reality _ horizons _ future.

تمهيد: لقد حصّ الله سبحانه و تعالى لغة الضاد وشرّفها على سائر لغات العالم بمعجزة القرآن الكريم لفصاحة كلامها وسعة معانيها وقوّة بياها، فهي أغنى اللغات كلما وأعرقها قدما، و أحلدها أثرا ، و أعذبها منطقا ، وأسلسها أسلوبا، و أغزرها مادة، وقد كانت هذه اللغة قديما لغة الشعر والبيان وأصبحت بعد ظهور الإسلام لغة العلوم والفنون معا، ولها من عوامل النمو ودواعي البقاء والرقي ما قلّما يتهيأ لغيرها وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة ، وغلبة اطراد التصريف والاشتقاق، وتنوع المجاز والكناية وتعدد المترادفات إلى النحت والقلب والإبدال والتعريب، وقد كان لها السبق والفضل على سائر اللغات في المعرفة والعلم ووضع المصطلحات وتسمية الاختراعات، ذلك أنّها كانت رائدة المعرفة في زمانها ولا يزال فضلها مشهودا على العديد من اللغات الأجنبية التي تزخر جلّ قواميسها بالعديد من الكلمات العربية وذلك بفضل التلاقح الثقافي والحضاري الذي كان منذ القدم، فالمتأمل لتاريخ لغة الضاد يشهد ما بلغته من ازدهار وقمة في العطاء إبان عصرها الذهبي كونها لغة العلماء على مدى قرون، و لغة الثقافة الخصبة المتنوعة والفن الإنساني المبدع . وفي حبّها قال الشاعر:

أحمى حمى الفصحى وأفخر أنّها لغتي وبها الكتاب منزل

وبها أحاديث النبي المصطفى وبغيرها ليس القرآن يرتل

هكذا بدت العربية - بكلّ المقاييس - لغة عالمية رجة منذ ارتحنت بحضارة صاعدة واعية تجاهلت فواصل الأجناس والأديان فغلبت عليها سماحة الأخذ وبراعة العطاء ، ودقّة التفاعل وعمق الجدل، فحاورت وتداخلت فازدادت ثراء وعمقا ورحابة و إنسانية . كانت لغة الترجمة التي لم تعجز عن استيعاب الدخيل والمغرب فأتسعت مساحة التلاقح الثقافي من خلالها ، فكانت لغة المؤلفين والمصنفين والمبدعين ، وظلّت لغة الضاد المتميّزة التي تمكّن من أصعب حروفها فصحاء القوم ونوابغهم .

كما تبدّت لغة جلييلة و عظيمة في ثوب الحقائق العلمية التي تزيّنت بها فاستوعبت النظريات التي تمكّن منها أعلام الفكر العربي، فكانت لغة بن حيان في كيميائه ، والحسن بن هيثم في بصرياته، وبن سينا في طبّه وشفائه وفلسفته ، والفارابي والكندي ، وبن رشد في فلسفاته العقلية الراقية، وأبي بكر الرازي في طبّه وعقاقيره ، والخوارزمي في رياضياته ، وغيرهم كثير من أعلام العربية الكبار.

كما كانت اللغة العربية الوعاء الذي تبلور فيه شخصية المجتمع العربي وتنصهر فيه وتشكّل ، فهي شعاره ودليله ، وهي معين مزاجه وثقافته وعلمه وأصالته وعاداته وتقاليده ، وهي دليله عليها ، فهي المرأة المنبئة عن شخصية متكاملة ، وقد فهم الاستعمار ذلك فمارس محاولات عديدة ضدّ اللغة القومية لإحلال لغته محلها حتى تنصهر في شخصيته ، وتصير جزء من مجتمعه ، وقد نجح في ذلك مع مجتمعات افريقية وعربية كثيرة . ورغم كلّ محاولات الطمس التي تعرّضت لها الأمة العربية في مختلف الأحقاب ، إلّا أنّها وقفت صامدة في مواجهة هذه المحن ، تغالب الزمان ، وتقارع الأهوال ، وتتأبّى محاولات الإبادة والتقويض والاستئصال في عقر الدار ، وقد كانت النوايا سيئة والمكايد مدبرة ليل ، إذ انثال على العالم الشرقي العربي سيل عرم من الدراسات المستكنهة لحقيقة التأثير الروحاني في ذلك العالم ، ومدى ارتباطه بالقيم المستمدة من شمولية الدين ومبادئه الراسية ، وخاصّة الجانب اللغوي الذي يعتبر معبر التواصل وحسر التبادل ، والتلاقح والتزواج بين ملامح المحسوس والمعنوي، والمادي والروحي، والأصالي والمعاصر، وكان ذلك مجلّوا في الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية¹.

1- أهمية اللغة العربية:

لكلّ أمة مميزات ثقافية وعلوم شتى تنفرد بها عن غيرها من الأمم ، وتؤثر هذه العلوم والثقافات على لغة هذا الشعب، للتعبير عن العناصر المختلفة للعلوم والمفاهيم الثقافية: عاداتها وقوانينها وتقاليدها ومفاهيمها ويوجد تكامل بين اللّغة والثقافة والعلم ، وكلّ ذلك يكتسب بصورة اجتماعية ، فالتكامل بين اللغة والثقافة على درجة كبيرة من الأهمية ، كما بينها وبين العلوم، وبين العلوم والثقافات، وتبرز الأهمية بوضوح في مجال تعليم اللّغات عامّة وتعليم اللغة العربية على الخصوص ، ولا يخفى على أحد تلك المحاولات الغربية التي سعت إلى التفريق بين اللغة العربية والثقافة الإسلامية والدور الكبير الذي قام به المسلمون لتطوير اللغة العربية بإنشاء علوم لغوية متعدّدة تُعين على إحياء اللغة وإتقانها وانتشارها في أنحاء العالم².

ويمكننا تلخيص أهمية اللغة العربية بالنقاط التالية :

- اللغة العربية هي أرقى اللغات البشرية ، فهي لغة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ومن خلفه ، نظرا لإعجازه سواء من ناحية النظم أو البيان الذي يعدّ عنصرا بارزا تتحلّى من خلاله قيمة اللغة العربية وميزاتها التي تجعلها تنفرد عن غيرها من اللغات واستخدامها في الاقتصاد والعلوم وغيرها من الأمور التي يراهن عليها التطور الذي وصلت إليه الدول في عصرنا³.

- اللغة العربية هي الوسيلة التي تنقل بها المعرفة، والأداة التي تتم بها عملية التواصل الفعّال في التعليم وفي غيره من مجالات الحياة اليومية ، فاللغة " شكل من أشكال الوجود ، وكل معرفة من هذا الوجود إنّما تؤدي إلى إعادة فهمنا

للغة نفسها... أن يكون الإنسان موجودا معناه أن ينطق ويتكلم ، ويدلّ ويرمز ، كما يفكر ويتأمل، ويستدلّ ويبرهن ، بل معناه أنه لا يمكن أن يفكر ويتأمل إلاّ اللغة " 4 ، التي تمنحه الوجود وقدرة التعبير عنه ، فعندما نتحدث اللغة يمكن أن نقول إنّ اللغة تمثّل ذلك الوعي الفردي الذي يدل على الوجود ، فلا يمكن الفصل بين وعي الفرد و لغته التي تعبّر عنه، لأنّه لا وجود دون لغة تدل عليه ، على اختلاف نمط تجلّي هذه اللغة سواء كانت بعلامات أو إشارات أو أصوات منطوقة أو مكتوبة أو غيرها من العلامات .

- إنّ اللغة العربية مصدر عزّ للأمة ، وفي هذا يقول الرافي: " ما دلّت لغة شعب إلاّ ذل ، ولا انخطت إلاّ كان أمره في ذهاب وإدبار ، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة ، ويركبهم

بها، ويشعرهم عظمتها فيها، ويستلحقهم من ناحيتها ، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد ، أمّا الأوّل: فحبس لغتهم في لغته سحنا مؤبدا ، وأمّا الثاني : فالحكم على ماضيهم بالقتل محو ونسيان ، وأمّا الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها ، فأمرهم من بعدها لأمره تبع" 5 .

- اللغة العربية وعاء للأمة تجعل فيها أفكارها ، وثقافتها ، ومعارفها ، وتاريخها ، وبها تصاغ مقومات وخصائص وجودها ، ولو عدنا إلى التاريخ لوجدنا أنّ من يتعد عن لغته إنّما يفقد ذاته . وفقدان الذات يحمل معه فقدان الثقافة وتشتت اللغة يعني انفصام الرباط الذي يجمع بين متكلميها ، والنتيجة الحتمية هي اندثار الثقافة التي يمثلونها .

- إنّ العامل اللغوي كان ولا زال أهمّ العوامل في توحيد الشعوب والجماعات البشرية ، والتقريب بين أفرادها " فالاعتزاز باللغة اعتزاز بالانتماء القومي الذي يميّزه عن غيره : فاللغة باعتبارها نصوصا واصفة ؛ تقوم بدور تشكيل وعي الجماعة وسلوك أفرادها، أي علاقة اللغة بالثقافة كأداة لتوحيد الجماعات في مجتمع خاص بهم" 6 .

- لا يخفى على أي باحث لبيب ما للغة العربية من أهمية عظيمة في كونها لغة القرآن والسنة ، وهي أقرب لغات الدنيا إلى قواعد المنطق، فعبارتها سليمة طيبة تُهوّن على الناطق الصافي الفكر أن يعبر بها عمّا يريد دون تصعّب أو تكلف بسبب مرونتها وطواعية ألفاظها للدلالة على المعاني .

فاللغة العربية معين لا ينضب، ومورد لا ينفذ، فهي نظام لغوي وارف، ونسيج أسلوبى متين، وبنية فصيحة عذبة، وتراكيب متناسقة خصبة، وعطاء متجدّد، وذوق رائق، وإبداع فائق، استوعب المنطوق وماشى الحضارة وركب الزمان عن جدارة، إلاّ أنّ عوائق الدهر وعوامل الكيد والقهر، ودواعي الغزو والمسوخ وتقاعس الأجيال المتأخّرة أحرّ دور العربية وقزّم دورها العلمي، وتراجع بها عن ريادتها الحضارية وذلك بالتوازي مع واقع الأمة المهين، وحاضرها المتخلف الذي فرضه التآرجح بين التعدي والتحدّي 7 .

وتزداد أهمية تعلّم اللغة العربية حين بعد الناس عن الملكة والسليقة اللغوية السليمة، ممّا سبّب ضعف الملكات في إدراك معاني الآيات الكريمة، ممّا جعل من الأداة اللغوية خير معين على فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة .

2- واقع اللغة العربية في الوسط الجامعي :

تشهد الجزائر صراعا عنيفا بين الفرانكفونية و التعريب في مستوى النخب، وفي مجال بعض الشرائح الاجتماعية، ذلك أنّ اللغة الفرنسية تمنح الناطقين بها امتيازات طبقية ممّا أدّى إلى احتدام التمييز اللغوي والثقافي في مجال السياسة اللغوية التي راهنت على ربط العمل باللّغة حتّى يعتقد النّاس أنّ الفرنسية هي اللغة الراقية التي تتيح فرص العمل لمن يتقنها، وأنّ اللغة الوطنية عائق تحول دون هذه الميزة⁸.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور صالح بلعيد: " إنّه لا عيش للغة تقاعست عن ميدان العلوم... إنّ الامر يقتضي ممّا جميعا الرجوع إلى الحقائق التاريخية ومقتضيات الشرعية الدستورية الصادرة عن الجزائريين، وفي ما نصّ عليه الدستور الجزائري بتسيخ مبدأ { معرفة العربية واجبة، وتولّي المناصب والترقية بها لازمة }"⁹ .

أمّا التعليم العالي فهو قلعة محصنة لاتنفذ إليها العربية بحال إلى يومنا هذا، ومعظم المشرفين على هذا القطاع من أساتذة وإداريين لم يتخلصوا من هيمنة اللغة الفرنسية وتقوقعوا فيها، فأضحى واقع اللغة العربية وآدابها ونصوصها وفكرها في المدرسة الجزائرية وفي الجامعة سيء للغاية، واقع مخزن وهذه هي الحقيقة أنّنا ما ندّرُسُه لا يُؤدي إلى نتائج ملموسة في الحفاظ على اللغة، وحتى أن النظام التربوي فُرض عليه كتابة العمليات الحسابية في الرياضيات من اليسار إلى اليمين، مع استعمال الرموز الفرنسية، وذلك بعد مضي أكثر من ثلاثة عقود من كتابتها باللغة العربية، يضاف إلى ذلك فرنسة كلّ الشعب العلمية في التعليم العالي كالطب والصيدلة والإعلام الآلي، والتكنولوجيا والهندسات المختلفة. ولم يبق للغة العربية سوى بعض الشعب الإنسانية والاجتماعية تشاركها فيها اللّغات الأجنبيّة¹⁰.

وإذا كانت الدول الأجنبية توفّر لطلبتها كلّ إمكانيات البحث العلمي لما بعد التدرّج في لغتهم الأم، وتسهر على تسهيل إجراءات التسجيل والالتحاق بجامعاتها ومعاهدها العليا، فإنّ الحال يختلف بالنسبة للطلبة في الدول العربية، الذين يعانون في تعاملاتهم مع الهيئات الإدارية في الجامعات الوطنية والعربية، حيث لا يمكن للطلاب الباحث المعرّب أن يحصل على ما يساعده على البحث إلا بعد عناء، هذه الأسباب وغيرها جعلت العربية قاصرة عن منافسة اللغات الأجنبية الأخرى حتى في بلادها وبين أهلها، ولعلّ هذا ما يفسّر تراجع مكانتها في مجتمعنا الجزائري، وعزوف أبنائها عنها إلى غيرها من اللغات الحيّة الأخرى، التي غدت تصلح وسيلة ناجعة للعمل والتعامل والارتقاء.

3 - تعليم اللغة العربية قبل الجامعة:

قبل الحديث عن ضعف اللغة العربية لدى الطلاب في مرحلة التعليم الجامعي ينبغي علينا العودة بالمشكلة إلى أصولها ، ونعني بذلك العودة إلى مرحلتي : الإعدادي والثانوي والتي تمتد بشكل آلي إلى الجامعة.

إنّ من غير الخفي على المتتبع للأداء اللغوي عند طلابنا في الجامعة ما يعانيه أغلبهم من ضعف واضح في اللغة العربية تحريرا ومخاطبة في العديد من الكليات، والعلّة تكمن في المراحل الثلاث السابقة للجامعة : الإبتدائية والإعدادية والثانوية، حيث تزدهم الفصول ازدحاما يعوق العمل التربوي، ونقص الوسائل المعينة على ذلك، إضافة إلى تضافر عوامل أخرى كثيرة سنأتي على ذكرها في ثنايا هذه الدراسة ممّا ينعكس بالسلب على الطالب الذي يفد إلى الجامعة ضعيفا في الإملاء والتعبير والخطاب .

إنّ ضعف الطالب في كلّ مراحل التعليم في اللغة العربية سمة عامّة - نطقا وكتابة - وهذا من العوامل المؤثرة في ضعف التّلقي عنده في بقية العلوم .

4- مظاهر ضعف التلاميذ في اللغة العربية :

1 - عدم قدرة التلميذ على قراءة نص بلغة عربية صحيحة.

2 - عدم القدرة على التحدث بلغة صحيحة لا في الفصل الدراسي ولا في تعاملاته اليومية.

3 - عدم القدرة على إعراب جملة أو تركيب إذا ما طلب منه ذلك وبالتالي فهو غير قادر على فهم معناها أو استيعابه ، أو نقل المعنى إلى الآخرين .

5- أسباب الضعف :

تنوزع هذه الأسباب إلى عوامل كثيرة تتضح فيما يلي:

أولا . الطالب نفسه : وهذا المحور الأوّل و أساس المشكلة فهو غير مؤهل نفسيا لدراسة اللغة العربية، غير مكترث بدراسة الفصحى وذلك لعدّة أسباب منها :

أ - اعتقاده في صعوبة النّحو وأنّه فاقد الأمل في القدرة على تحصيله .

ب - اعتقاده في سهولة بقية فروع اللغة العربية من قراءة وبلاغة ونصوص وتعبير وإملاء، ومن هنا يجيء استهتاره لبقية الفروع حيث يؤجل النظر فيها إلى ما قبل الامتحان فيضعف هضمها.

ج - ما يراه الطالب من سخرية وسائل الإعلام من مدرس اللغة العربية والاستهزاء به مما يجعله محجما عن دراستها ابتعادا عن تلك السخرية.

ثانيا . المعلم : للمعلم دور كبير في ترغيب الطلاب إلى الدرس اللغوي فكثير من المعلمين يفتقرون إلى الطريقة الصحيحة للأداء علاوة على عدم قدرتهم على الشرح باللغة الفصحى، وفاقدهم الشيء لا يعطيه إضافة إلى الشرح النظرية المفتقرة إلى عملية التطبيق والتدريب .

ثالثا - الكتب الدراسية : بعض الكتب الدراسية تتناول القواعد بشكل معقد ونظري، وكتابة القاعدة بشكل لا يؤدي إلى فهمها بسهولة .

رابعا- المناهج الدراسية : كثير من المناهج تحتاج إلى إعادة نظر فبعضها مقدم إلى سنوات دراسية معينة وينبغي أن يكون داخلا في مناهج سنوات أخرى، إما أعلى أو أدنى ، وبعضها على مستوى جيد من الأداء لهذا ينبغي النظر في ترتيب مناهج اللغة العربية وتحديد مستويات الأداء للسنوات المختلفة .

خامسا- الازدواجية اللغوية: تلك الازدواجية التي يعيشها الطلاب في حياتهم اليومية، ففي قاعة الدرس يجدون لغة عربية ضعيفة على ألسنة المدرسين، وعلاوة على ضعفها فهي مخالفة تماما للغة الحياة اليومية ومخالفة تماما عن لغة الكتب الصحيحة، كل ذلك يؤدي إلى الانشطار النفسي لدى الطالب، والطالب ليس له علاقة باللغة الفصحى إلا في حالات ثلاث:

- داخل الفصل الدراسي.

- عند المذاكرة والتحضير للامتحان.

- عند أداء الامتحان.

وهذه الأوقات لا تمثل نسبة كبيرة من وقت الطالب .

وبالتالي فإنّ اللغة العربية في صورتها الفصحى لم تعد لغة متحدثّة ، سواء لدى المثقّفين أو المتخصّصين أو غيرهم من عاقّة النَّاس ، إلّا في مناسبات ضيّقة و لأسباب وطائفة و نظرا للتطورات الجديدة والعوامل الاستعمارية والاجتماعية والتاريخية وغيرها التي دعت إلى الحديث باللهجة العامية.

ولعلّ ما زاد من هذه المشكلة اللغوية سببان:

الأوّل : سوء اختيار القائمين على اللغة العربية النصوص الملائمة لروح العصر وطبيعة الحياة الجديدة، والاعتماد على النصوص المثقلة بالمجازات والمحسنات البديعية والألفاظ المهجورة .

الثاني : أنّ التعلق بمعيارية اللغة ، وتصحيح أساليبها و أبنيتها على لغة العصور العربية القديمة ، عصور الاحتجاج، قد حمل اللغويين قدامى ومحدثين ، على فصل " النحو والصرف" عند تدريسه عن النصوص الأدبية واعتبارها علمين مستقلين، يجيد الدارسون معرفة أصولهما ولكنهم لا يقدرّون على توظيفهما توظيفا لغويا صحيحا¹¹.

سادسا - وسائل الإعلام :

للإعلام دور كبير في رفع مستوى الفصحى أو هبوطه ، فمعظم البرامج بالعامية وهي بذلك تساعد على هبوط المستوى وتدنيه، علاوة على أنّ المسلسلات والأفلام تشد المتلقي إليها شداً، وهي بالعامية، فلا يكون لديه وقت لاستيعاب المقررات الدراسية ومن تلك المقررات اللغة العربية¹².

ومن هنا يمكننا القول ، إنّ مشكلة اللغة العربية في الجامعة لا تنفصل عن مشكلة اللغة العربية قبل التعليم الجامعي وقد تجلّى ذلك في عدّة مظاهر :

1 - المظاهر العلمية : التديني العام في مستوى اللغة في جميع المجالات : وسائل الإعلام - المكاتبات الرسمية - بين دراسي اللغة العربية أنفسهم - بين القائمين على التدريس في المراحل السابقة على التعليم الجامعي ، وقد أصبح من المؤلف سرد الأخطاء اللغوية والنحوية في الرسائل الجامعية حتى تلك المقدّمة من متخصصين في دراسة العربية، كما لم يعد من النادر العثور على أخطاء علمية تتصل بالقواعد أو غيرها في الكتب المدرسية التي يفترض حلّها من أيّة أخطاء .

وهذا التديني امتدّ إلى طريقة نطق اللغة، وإلى طرق كتابتها، وقد شاعت أخطاء الكتابة في اللافتات ووسائل الإعلام على نحو كبير. وقد انعكس هذا التديني على عملية التدريس في النتائج التالية :

- افتقاد اللغة المشتركة بين الأستاذ ومصدر المادة العلمية من جهة، والطالب من جهة أخرى ، بمعنى أنّ الطالب أصبح عاجزا عن فهم كثير من المواضيع في برنامجه الدراسي و التي تكون مكتوبة بلغة سليمة وفهمها بعيدا عن المعنى المراد، وفي المقابل عجزه عن قول ما يريد، أو صياغة سؤال واضح في لغة سليمة، ولا أدلّ على ذلك من أنّ مصطلحات نظام اللغة ذاتها في الإعراب أصبحت غير مفهومة لكثير من الطلاب الذين لا يعرفون المراد بها، وبالتالي أصبحت مهنة التدريس مهمّة صعبة للسبب السابق فالأستاذ يقول، والكتاب يسرد، والطالب يفهم أمورا أخرى، وحتى عملية تصحيح الاختبارات التحريرية تحوّلت إلى محنة بالنسبة للأستاذ الذي لم يعد يكابد عملية التقويم فقط بل فُرِضت عليه مكابدة لغة الطالب الحاملة لمعلوماته، وكتاهما في مستوى متدنّ، ولكن محنة اللغة والمكابدة بسببها أصعب لسبب جوهرية هو أنّه يجب ألا توجد.

2 - المظاهر الاجتماعية :

شعور المتخصص في اللغة العربية بنوع من الدونية إزاء غيرهم من المتخصصين في مجالات أخرى من العلوم الإنسانية ، وهو إحساس يتوازى مع إحساس هؤلاء جميعا بنفس الشعور إزاء المشتغلين بالتخصصات العلمية، وقد غدّى كلا النوعين من الإحساس شيوع تصنيفات معينة في الدولة، كوصف بعض الكليات - مثلا - بأنها كليات قمّة، وما يفهم منه من أنّ هناك كليات دون ذلك في المستوى أي كليات { سفح أفاع }¹³ ، وبالتالي تقسيم قطاعات الدولة إلى منتجة وأخرى مستهلكة، وبالتالي التفرقة في المعاملة وفي النظرة الاجتماعية.

ترتب على مثل هذه الأوضاع الإحساس بالدونية من جانب دارسي اللغة العربية، وإظهار البعض لمقدرتهم على التحدّث باللغة الأجنبية والمعرفة بها على نحو من الأنحاء، وشيوع التباهي بعدم معرفة العربية كناية عن المعرفة بغيرها كلّ هذه الأسباب أدّت إلى تغيّرات اقتصادية وأوضاع اجتماعية وتعليمية كرّست الاتجاه إلى العزوف عن العربية - معرفة ودراسة - في مقابل الإقبال على دراسة اللغات الأجنبية ، وظاهرة الإقبال في سوق العمل على خريجي مدارس اللغات والجامعات الأجنبية.

بالإضافة إلى الجو العام المشجّع على روح { التغرّب } : أسماء المحلات، والمشاريع، والسلع ، والإعلانات وما نلمسه من مظاهر السخرية والتهمك باللغة ودارسيها في وسائل الإعلام والأعمال الفنية { صورة معلم اللغة العربية، صورة الشيخ الأزهرى، صورة المأذون الشرعي } . والحلول تدور غالبا حول محور واحد هو تيسير المادة المدرسة - أي اللغة - دون التنبيه إلى العوامل الاجتماعية و الاقتصادية المسببة للمشكلة والعاملة على استمرارها، ويعني هذا من الناحية العملية : أنّ محاولات الحلول تتعلق بالنتائج وتعمل على تغييرها ، بينما تترك المقدمات التي تفضي إلى هذه النتيجة قائمة تعمل عملها¹⁴.

6 - مظاهر تدني الأداء اللغوي عند طلاب الجامعات :

1 - الأخطاء الإملائية : وتتمثل في :

- أ - الأخطاء في رسم الهمزات: وهي أكثر الأخطاء الإملائية شيوعا ن ومن أمثلتها : بداء { بدل : بدأ } - القراءات { بدل : القراءات } المؤمنون { بدل : مأمون } - يألّف { بدل : يؤلّف } يتضائل { بدل : يتضاءل } .
- ب - زيادة حرف { غالبا ما يكون الألف } ومن أمثلة ذلك : فالدولة - ذلك - هاذان - لاكن - ألفاين ، وقد يكون الحرف الزائد واوا مثل : أونشئ - أولف - أو ياء مثل : إيجابا - لي كي - إيطار .

ج - إسقاط حرف أو أكثر من الكلمة . وغالبا ما يكون الحرف المسقط هو الألف مثل : باعتبار { بدل : باعتبار } بتالي { بدل : بالتالي } .

د - زيادة حرف مثل: اللذي { بدل - الذي } - للعلوم { بدل : العلوم } .

هـ - الخطأ في كتابة التنوين مثل: أبيضن { بدل : أيضا } - مباشرتن { بدل : مباشرة } خاصتا { بدل : خاصة } .

و - استبدال حرف بحرف كما في بعض المناطق الصحراوية التي ينطق سكانها الثاء سينا، حيث ينعكس ذلك على اللغة العربية واستخدامها في العملية التعليمية مثل : سمود { بدل : ثمود } - سمين { بدل : ثمين } . أو بعض الحروف المتشابهة في المخرج مثل : صورة { بدل : سورة } - سيط { بدل : صيت } . الخ

2 - الأخطاء النحوية ، ومن أمثلتها :

أ - نصب الفاعل وجرّه في مثل : أنشأ المصريين .

ب - رفع المفعول مثل : أَلّف كتابان .

ج - رفع الاسم أو نصبه بعد حرف الجر ، مثل : في ثلاثون ، بعشرون ، على هذان ، في أحيانا .

د - رفع المضاف إليه في مثل : لمدة خمسون ، وجود نوعان .

هـ - نصب اسم " كان " وأخواتها ، مقل : كان الأوروبيين ، مازالوا حريصون .

و - رفع اسم " إنّ " وأخواتها مثل : إنّ المسلمون .

ز - الأخطاء في تمييز العدد ، وهي أكثر من أن تحصى ، ومن أمثلتها : اثنا عشر كتابا وعشرون كراسة .

3 - عدم الدقة في استخدام الضمائر و أسماء الإشارة الموصولة كقولك : وهم يمثلون - هذان الطريقتان - الكتب الذين يستفيدون منها .

4 - استخدام صيغ واشتقاقات وجموع خاطئة مثل : يجيز { بدل : يجوز } ، وثغور { بدل : ثغرات } .

5 - الالتواء في التعبير لدرجة تخرج الجملة عن قوالب الصياغة العربية مثل : الكتب التي موجودة باللغة الفرنسية وهي التي خاصة بكذا وكذا - اللغة الانجليزية التي القليلون التي يعرفونها¹⁵ .

6. الكتابة بلغة الحديث العامية المتداولة في الحياة اليومية .

7. سبل تحسين الأداء اللغوي للطلاب:

- إلزام مختلف وسائل الإعلام بالتحدث والكتابة باللغة الفصحى، وتشجيعهم على عمل برامج بالعربية الفصحى لتقويتها في نفوس المستمعين ومنهم الطلاب .

- توجيه المدرسين في كافة التخصصات للتحدث في قاعات الدرس، و محاولة تقرب العربية إلى الطلاب بتيسير مناهجها، والاهتمام بالكتاب المدرسي و مراجعته مراجعة دقيقة قبل توزيعه.

- الإهتمام بتدريس الإملاء في المرحلتين الابتدائية والإعدادية .

- الإهتمام بإعداد معلم اللغة العربية، وتطوير طرق تدريس النحو بصفة خاصة والإعداد لتدريسه إعدادا يتوخى الأبواب الوظيفية فيه¹⁶ . وأن يكون حديث المعلم باللغة العربية شرحا وحوارا ، وبهذه الطريقة يعتاد الطالب على التعبير التلقائي وتنحل عقدة لسانه .

- إدخال اللغة العربية بوصفها مقررا أساسيا في جميع كليات الجامعة، على أن تدرس من خلالها نصوص متخصصة حتى تكون فائدتها مزدوجة .

- عقد امتحان في اللغة العربية لل حاصلين على شهادة البكالوريا قبل التحاقهم بالجامعة، واشتراط الحصول على معدل قبول جيد في اللغة العربية ليلتحق بقسمها فس الجامعة .

- المراجعة اللغوية لكل كتاب ينشر حتى لا يقرأ الناس إلا لغة سليمة، ويأتي على رأس هذه الكتب، الكتب المتخصصة في مجال اللغة العربية وعلومها التي يستقي منها الطلاب معارفهم، بشرط أن تنشر هذه الكتب وتوزع بإشراف الجامعة ومجمع اللغة العربية وهما الجهتان المخولتان للمراجعة والتنقيح.

- خير ما يعين على التمكن من اللغة فرض نصوص تحفظ من القرآن الكريم والشعر وترديدها بشكل صحيح، وذلك لأن هذين اللونين من النصوص لا يقرآن ولا يتذكران إلا مشكولين شكلا تاما، أما المشكلة الإملائية يمكن علاجها بأن تخصص ساعة لتدريس مبادئ الخط، وتخصيص درجات لسلامة الخط وجودة التعبير¹⁷ .

- ضرورة تنمية مهارة القراءة ، إذ الملاحظ أنّ غالبية الطلاب لا يستطيعون القراءة بطريقة سليمة ..ويمكن أن يخصص جزء من المحاضرة ليقرا فيه الطلاب ويصوّب لهم الأستاذ مع التعليل للخطأ إن وجد.

- الامتحانات الشفهية، والتحريرية عقب انتهاء كل فصل في المنهج الدراسي مع ضرورة التقويم.

- التدريب على نطق الحروف نطقا صحيحا من مخارجها، والعمل على إبراز الفروق بين الحروف المتشابهة في النطق كالسين والثاء والزاي والظاء... وذلك عن طريق القراءة الشفهية بصوت عال .
- إتاحة الفرصة لجميع الطلاب للمناقشة وطرح الأسئلة والإصغاء لإجاباتهم وعدم إحراجهم .
- لا بد أن نثق في أنّ الجامعات أساس لسيادة اللغة العربية، فمنها يتخرج المسؤولون في كلّ المجالات ولهذا من الواجب على القائمين عليها العناية بها حتى تتحقق أهميتها ومكانتها و أهدافها في المجتمع.

خاتمة :

ما يمكننا قوله في نهاية هذه الدراسة، أنّه من الواجب على كلّ طالب علم، وغيور على لغة الضاد الحفاظ عليها ورعايتها وحمايتها والافتخار بها وتاريخها العريق، ويكفي أنّها لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنة تنبّه إلى خصوصيتها فصحاء القوم منذ شغلهم بيانها وسحرها، ثمّ شغل بها البلاغيون الكبار فاستوقفهم أسرار بلاغتها وتميّزها . ثمّ كانت لغة الحديث الشريف، وقد أوتي الرسول البليغ جوامع الكلم وأثنى على سحر البيان وحكمة الشعراء . وكانت لغة الأمثال والحكم والوصايا التي أوجز فيها العرب خلاصة تجاربهم ورؤاهم وسجّلوا بواسطتها خلاصة معارفهم وتاريخهم. ثمّ كانت لغة الشعر الذي رآه العرب ديوانا لهم، بل كانت علما لقوم لم يصح لهم أفضل منه، كما كانت لغة التباري بين فصحاء القوم عبر أسواقهم الأدبية العريقة . وهي لغة علوم الأوائل تفسيرا وحديثا وتاريخا ونقدا وبلاغة وفكرا وعلماء.

وهي اللغة الشاعرة التي ترتمّ بها العقّاد، وهي الفصحى التي ذاد عنها الشعراء ورأوا فيها جمالا ورونقا لا يعدله جمال أو رونق، فكانت لغة المدارس الشعرية الأصيلة، وكذلك كان حالها عبر حركة التاريخ منذ كانت لغة الأصفهاني في تأريخه وتصنيفه للأغاني ، كما كانت لغة الناقد العربي من لدن؛ ابن سلام في المشرق إلى ابن رشيق القيرواني في المغرب العربي وأقطاب خيرة النقاد ، فكانت لغة قدامة ، وثعلب ، وابن جنيّ ، وابن طباطبا، والقرطاجني وسواهم من الأعلام.

لغة بهذا الاتّساع وتلك الرحابة وذلك العمق وتلك الأصالة لم تعلن قصورها يوما عن استيعاب فكر ما فبدت لغة الماضي الطويل بكلّ نبلة وأصالته، وكان لها حراسها وحماؤها من الرجال الأوفياء، وتظلّ لغة الحاضر بكلّ صورته وعلومه وحضاراته ومعارفه مرنة واعية، هي أمانة أجدادنا وإرثهم العتيق الذي وجب علينا حفظه وصونه وتطويره وتجديده بما يضمن له استمرارية التفاعل بين الموروث والمعاصرة.

وتظل لغتنا العربية مفخرة الأجيال ولغة المستقبل القومي والهوية الواعية القادرة على تحقيق التواصل بين الماضي والحاضر، والتطلع نحو المستقبل لتواكب كل حضارات العالم من حولها، فتستعيد قصة تاريخها القديم الضارب بجدوره في أعماق الزمن الرحب.

هوامش الدراسة :

¹ مبروك زيد الخير، اللغة العربية في الجزائر وصراع التحديات في فكر الأستاذ مولود قاسم، مجلة الآداب واللغات ، العدد الخامس ديسمبر 2005، الأغواط، ص 70.

² ينظر فاطمة لظفر كدورزي، تأثير اللغة العربية على الثقافة الإسلامية، شبكة الألوكة ، 2020،18:00/07/12
www.alukah.net

³ ينظر صليحة شتيح ، توظيف اللغة في البحث العلمي الأكاديمي، منشورات مختبر ممارسات لغوية ، جامعة تيزي وزو 2016، ص 116.

⁴ سلطان زغلول ، المقصدية ، نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب ، مجلة الرأي ع 50725 ، 2016.

⁵ مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم ، ص 33، نقلا عن وليد السباعي، أثر اللغة العربية في الشريعة الإسلامية، أعمال مؤتمر اللغة العربية وتحديات العصر . القاهرة 2018، ص 226.

⁶ نبيل علي ، العرب وعصر المعلومات، ص 242، نقلا عن لبصير نور الدين ، المثاقفة وزعزعة جيولوجيا المجتمعات بين الانفتاح المطلق والانغلاق المطبق، أعمال اليوم الدراسي ، اليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية، 17 جوان 2019، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 190.

⁷ ينظر مبروك زيد الخير، اللغة العربية في الجزائر وصراع التحديات في فكر الأستاذ مولود قاسم، ص 69. 70.

⁸ ينظر بوهادي عابد، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، مجلة اللغة العربية، ع2، الجزائر، السداسي الأول، 2014، ص 181.

⁹ صالح بلعيد، هموم لغوية، مخبر ممارسات لغوية، د.ط، الجزائر، 2012، ص 79.

¹⁰ عابد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، ص 215.

¹¹ ينظر ابراهيم عبد الرحمن محمد، من مشكلات اللغة العربية، ص 50.

¹² ينظر أحمد عفيفي ، تعليم اللغة العربية الواقع والمشكلات ، ندوة تدريس اللغة العربية، المجلس الأعلى للجامعات، ماي 1999.

¹³ ينظر عبد الحكيم راضي ، محنة اللغة العربية بين المجتمع ومؤسسات التعليم، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1999، ص ، 60.

¹⁴ ينظر المرجع السابق ، ص 63.

¹⁵ ينظر الحلوجي عبد الستار، الأداء اللغوي الجامعي ، أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للغة العربية في التعليم العام والجامعي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 2019.

- ¹⁶ ينظر ابراهيم الدسوقي، مواصفات المقرر المقترح للغة العربية، ندوة تدريس اللغة العربية ، المجلس الأعلى للجامعات، مصر، ماي 1999 ، ص 21.
- ¹⁷ ينظر المرجع نفسه، ص 22.

مراجع الدراسة:

- ابراهيم الدسوقي، مواصفات المقرر المقترح للغة العربية، ندوة تدريس اللغة العربية ، المجلس الأعلى للجامعات، مصر، ماي 1999.
- الحلوجي عبد الستار، الأداء اللغوي الجامعي ، أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر للغة العربية في التعليم العام والجامعي مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 2019.
- سلطان زغلول ، المقصدية ، نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب ، مجلة الرأي ع 50725 ، 2016.
- صليحة شتيح ، توظيف اللغة في البحث العلمي الأكاديمي، منشورات مختبر ممارسات لغوية ، جامعة تيزي وزو 2016.
- عبد الحكيم راضي ، محنة اللغة العربية بين المجتمع ومؤسسات التعليم، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1999..
- مبروك زيد الخير، اللغة العربية في الجزائر وصراع التحديات في فكر الأستاذ مولود قاسم، مجلة الآداب واللغات ، العدد الخامس ديسمبر 2005، الأغواط.
- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم ، ص 33، نقلًا عن وليد السباعي، أثر اللغة العربية في الشريعة الإسلامية، أعمال مؤتمر اللغة العربية وتحديات العصر . القاهرة 2018.
- فاطمة لطف كدورزي، تأثير اللغة العربية على الثقافة الإسلامية، شبكة الألوكة ، 2020، 18:00/07/12،
www.alukah.net
- لبصير نور الدين ، المثاقفة وزعزعة جيولوجيا المجتمعات بين الانفتاح المطلق والانغلاق المطبق، أعمال اليوم الدراسي اليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية، 17 جوان 2019، المجلس الأعلى للغة العربية .